الجامعة المستنصرية/كلية الآداب–قسم التاريخ

محاضرات التاريخ السياسي للعصور الوسطى الاوربية/ المرحلة الأولى–الفصل الدراسي 2018–2019

مدرس المادة: د. ثامر مكي علي

المحاضرة **الثالثة**

محاولات إصلاح الامبراطورية في الغرب، الامبراطور دقلديانوس، الامبراطور قسطنطين، الاعتراف بالمسيحية، بناء القسطنطينية

ولد دقلديانوس في إقليم دلماشـــيا من اب فلاح، وفتحت له الخدمة في الجيش الروماني مجال التقدم، وأخيراً، وعلى أكتاف الجيش ارتقى إلى ذلك المنصـــب الرفيع منصـب الامبراطور عام 284م. ومنذ اعتلائه للعرش عمل على تقوية مركز الامبراطور فجرد مجلس الشـــيوخ من جميع ماتبقى له من ســـلطات. ولم يعد ذلك المجلس ســـوى مجلس بلدي يخص العاصمة روما، وصارت السلطة مركزة بيد الامبراطور يساعدة في الحكم جهاز اداري ضـخم وكان الامبراطور بمسـاعدة ذلك الجهاز يشـرف على كل جزء من أجزاء الإمبراطورية، وبهذا قضـــى دقلديانوس على النظام الذي وضـــعه اوغســـطس والذي كانت السلطة فيه موزعة بين الامبراطور ومجلس الشيوخ.

قام دقلديانوس ببعض الاصـــلاحات ليواجه بها الأزمة التي انتابت الإمبراطورية، ومنها قيامه بتقسـيم الإمبراطورية إلى قسـمين شـرقي وغربي حكم كل منها حاكم يحمل لقب اوغسطس تولى دقلديانوس القسم الشرقي بينما تولى مكسيان القسم الغربي، ثم تم تقســـيم الإمبراطورية اربعة اقســـام الأولى منها ايطاليا وعاصـــمتها ميلان والثاني غالة وعاصـــمتها ســـرميوم وهي بلغراد الحالية، اما الرابعة منها الجانب الشـــرقي وعاصـــمتها تيقوميديا الواقعة على شـاطئ الاشـيوي للبسـفور، هذا وتولى وظيفة القنصـلين هاليروس الذي تبناه دقلديانوس وقسطنطيوس الذي تبناه مكسميان. وامر كل من القيصرين بطلاق

زوجتـه والتزوج من ابنـة متبنيـة، واقســـم هؤلاء الأربعـة الإمبراطوريـة بينهم، فتولى قسطنطيوس مهمة الدفاع عن غالة واسبانيا وبريطانية واتخذ من تريف مقراً له، واعتبرت ايطاليا وشـــمال افريقيا في نطاق حكم مكســـميان اتخذ من ميلان مركزاً لحكمه، اما دقليانوس فاحتفظ باقليم ترافية في اسيا الصغرى ، حكم اجاليروس اليريا وأقام في سرميوم الواقعة على نهر الدانوب: وكان كل من الحاكم الأربعة ســـيدا في نطاق اقليمة، ولكن ســـلطتهم المتحدة امتدت على الإمبراطورية بأكملها، وكانت القرارات والمور تصـــدر بأسمائهم جميعاً. وكان النظام الرياعي يقظي بانه عندما يعزل الاوغسطس الحاكم يخلفه القيصـر الذي يرقى إلى اوغسـطس ويعنين لمسـاعدته قيصـراً جديداً وهكذا تباعاً. ورغم هذه الاحتياطات ذابت الوحدة السياسية في العالم الروماني شيئاً فشيئاً وساد مبدأ التقسيم الذي كان سبباً في الفصل الدائم بين أجزاء الإمبراطورية في بضع سنين قليلة.

اما بالنسـبة للجيش فقد أعاد دقلديانوس تنظيمه واسـتمرت عملية تحصـين المدن الداخلية وأصـبحت فرق الحدود مقيمة، وصـار اصـحابها من ذوي الامتيازات ومن كبار الملاكين ولجاء دقلديانوس إلى أشاء قوة جديدة متحركة يمكن نقلها بسرعة من محل إلى اخر من أي جزء من أجزاء الإمبراطورية قد يتعرض إلى الخطر، ولتفوير ما يقارب من 500 الف جندي وهو ماتحتاجه الإمبراطورية، اضـطرت الحكومة الرومانية إلى تشـجيع الجرمان والبربر على الانخراط في جيشـــها والواقع ان قبائل جرمانية بأكملها ســـمح لها ياجتياز حدود الإمبراطورية على اعتبار انها حليفة للامبراطورية وإنها تكون جزء من قوة دفاعها.

اما اصـلاحاته المالية فقد ضـرب عملة جديدة جعل فيها نسـبة المعادن النفيسـة عالية، كما حاول تثبيت ملكية الأرض من اجل تسـهيل فرض الضـرائب وجبايتها، ونظم التجارة الداخلية والخارجية.

ومن إصـلاحاته المهمة تنظيم اصحاب الحرف المختلفة في نقابات اصفاف وكان الغرض من ذلك إجبار كل نقابة على إنتاج مقدار معين من الوحدات الصـــناعية وذلك لغرض المحافظة على كمية إنتاج الذي كان يعاني نقصاً مستمراً كما ان تنظيم اصحاب

الحرف في نقابات كان ييسر امر جباية الضرائب من إفرادها، فقد صارت كل نقابة ملزمة بدفع مقدار معين من المال إلى الحكومة وهي بدورها تجمع ذلك المال من منتسبيها وابجر دقلديانوس الأنباء على الانخراط في نفس الحرف التي كان يمنحها إباؤهم وكان لهذه الإجراءات أثرها في تخفيف هذه الضائقة المالية التي كانت تعاني منها الحكومة ولكنها في الوقت نفسه الحقت ابلغ الضرر بالمشاريع الفردية، وأدت على المدى البعيد إلى ركود الحياة في المجتمع الروماني.

بالرغم من هذه الإعمال فانه لم يتمكن من معالجة الأزمة الاقتصادية إذ ان المشاريع الإصلاحية وخصوصاً بالنسبة للجيش تطلب اموالا طائلة فاضطر إلى فرض ضرائب جديدة من اجل الحصول على هذه الأموال. إضافة إلى الضرائب السابقة، وكانت معظم هذه الضرائب قد انصبت على كاهل الطبقة الفقيرة لان الطبقة العليا كانت تتمتع بلاعفاءات من الضرائب ، حتى انهارت عزيمة أصحاب الحرف والأصناف وأردوا ترك إعمالهم بالرغم من القوانين المجحفة بحقهم.

حاول دقلويانوس جمع كافة السلطات بيده فأصبح إمبراطوراً مستبداً وأصبحت كلمته قانوناً، وكان على الرعية ان يقبلوا الأرض بين يديه، وكان يقصد من وراء ذلك إن يألهه الناس خاصة الجند.

إما عن موقفه من المسيحية فانه قاوم المسيحيين فشرع في عام 303م قانون حرم المسحيين من الحقوق المدنية كما أمر بهدم كنائسهم وحرق الإنجيل وأباح قتل المسيحيين.

اذا رفضوا تقديم الهدايا والقرابين للالهة الرومانية فقتل الكثير منهم حتى سمي عهده بعصر الشهداء.